الباب الأول في أصول الإنشاء

وهي أربعةٌ: مَوادُّهُ وخَواصُّه وطبقاتُهُ ومحَاسِنُهُ.

أما **مَوادُّه فَثَلاثٌ: الأولى**: الألفاظُ الفَصيحةُ[١] الصَّريحةُ[٢]. **الثانية**: المعاني[٣]. **الثالثة**: إيرادُ المعنى الواحد بطرُقٍ مختلفةٍ ومرجعها إلى الفصَاحة

(١) الألفاظ البينة الظاهرة المتبادرة إلى الفهم والمأنوسة الاستعمال لمكان حسنها.

(٢) الألفاظ التي تدل على نفس المطلوب بحيث تكون كقالب لمعناها وتوصل إلى ذلك بمعرفة المترادفات والصفات والأبدال.

(٣) بحيث يكون المعنى واضحاً أي سهل المأخذ خالياً من اللبس والإشكال كقول الأخطل: [**الكامل**]

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

وأن يكون المعنى سديداً أي أن يكون القول مطابقاً للواقع كقول لبيد: [**الطويل**]

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

وأن يكون مطابقاً لمقتضى الحال كقول أبي العتاهية: [**الطويل**]

إذا أنت لم تزرع وأبصرت حاصداً ندمت على التفريط في زمن البذر

وقال أبو الفتح البستي: [**الطويل**]

تكلم وسدد ما استطعت فإنما كلامك حي والسكوت جماد

فإن لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السداد سداد

والمراد بمقتضى الحال الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص أي مراعاة أحوال المتكلم والمخاطب ومقام الكلام ـ والمعنى إما أن يكون مبتكراً أي مخترعاً كقول ابن النبيه: [**السريع**]

الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد

وكقول آخر في وصف الشتاء: [**الكامل**]

والنار فاكهة الشتاء فمن يرد أكل الفواكه شاتياً فليصطل

أو دقيقاً وهو ما لطف مأخذه وبعد مرامه ودل على توقد فهم قائله كقول ابن عنين في فخر الدين الرازي وكانت قد دخلت إلى مجلسه حمامة خلفها صقر يريد صيدها فاستجارت بحجرته: [**الكامل**]

جاءت سليمان الزمان حمامة والموت يلمع من جناحي خاطف

من أنبأ الورقاء أن محلكم حرم وأنك ملجأ للخائف

أو فطرياً وهو ما أورده الطبع السليم بلا تصنع ولا إعمال روية ودل على بعض السذاجة في قائله كقول أحدهم وقد سئل هلا تسافر بحراً فأنشد: [**المجتث**]

=

وعلمي المعاني والبيَان. وأما خواصه فهي محاسنه السبعة وهي: **أولاً**: الوُضوح[١] بأن يختارَ المفردات البيّنة الدّالة على المقصود، وأن يُعدلَ عن كثرة العوَامل[٢] في الجملة الواحدة، وأن يتحاشَى عن الالتباس في استعمال الضّمائر،

= لا أركب البحر أخشى عليّ منه المعاطب
طين أنا وهو ماء والطين في الماء ذائب

وكقول الصياد: [**البسيط**]

سبحان ربي يعطي ذا ويحرم ذا هذا يصيد وهذا يأكل السمكه

أو ليناً وهو ما كان لطيف التعبير سلس الألفاظ دالاً على أشياء تطرب المسامع وتبهج القلب كقوله: [**البسيط**]

إن السماء إذا لم تبك مقلتها لم تضحك الأرض عن شيء من الزهر

أو نافذاً وهو ما وصل إلى الفهم بسرعة البرق وأخذ لحدته ومضائه بمجامع القلب كقول عنترة: [**الوافر**]

وما دانيت شخص الموت إلا كما يدنو الشجاع من الجبان

أو جامعاً وهو ما أفاد باللفظ القليل المعنى الكثير كقول أبي تمّام: [**الطويل**]

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله
تعوّد بسط الكف حتى لو أنه أراد انقباضاً لم تطعه أنامله

وكقول المتنبي: [**البسيط**]

قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها وشرف الناس إذ سواك إنساناً

أو متيناً وهو ما اتسم بالضبط والحزم وتمكن من ذهن سامعه كقول أبي العتاهية: [**الوافر**]

لِدُوا للموت وابنوا للخراب فكلكم يصير إلى ذهاب

والمعنى الموغل أو الإيغال هو ما فتن بسموه القلب وسبي العقل وبلغ الغاية القصوى من البلاغة كما قال قائل على لسان ربه: [**المنسرح**]

سألت عبدي وأنت في كنفي وكل ما قلت قد سمعناه
سلني بلا خشية ولا رهب ولا تخاف إني أنا الله

واعلم أنه ليس لهذه المعاني مصدر خاص وإنما يحصل عليها الأديب من مطالعة كتب البلغاء وإعمال الفكرة الطويلة والتبصر في الموضوع الذي يقصد وصفه ليستخرج منه المغاني اللائقة به. وإنما يلتجئ الأديب إلى هذه المعاني عند مسيس الحاجة وذلك يختلف باختلاف أحوال المتكلم ومقام المخاطب ومواقع الكلام.

(١) كقوله: [**البسيط**]

ليس الجمال بأثواب تزيننا إن الجمال جمال العلم والأدب
ليس اليتيم الذي قد مات والده بل اليتيم يتيم العلم والحسب

(٢) كقول بعضهم: أقسم لا أعود أقوم أخطب فيكم.

وأن تسبك الجملُ سبكاً جليّاً بدون تعقيد والتباس، وأن يُتحاشى عن كثرة الجُمل الاعتراضية.

وثانياً: الصَّراحةُ بأن يكون الإنشاءُ سالماً من ضعف التأليف وغرابة التعبير بحيث يكون الكلامُ حُرّاً مُهذّباً تناسبُ ألفاظُهُ للمعاني المقصودة كما قيلَ:

[المتقارب]

تَـزيـنُ مَـعـانـيـه ألـفـاظَـهُ وألـفـاظُـه زائـنـاتُ الـمَـعـانـي

ويكونُ الكلامُ صريحاً بانتقاء الألفاظ الفصيحة والمُفردات الحُرّة الكريمة وكذا بإصابة المعاني وتنقيح العبارات مع جودة مقاطع الكلام وحُسْن صوغه وتأليفه. وكذا بمُراعاة الفصل والوصل وهو العلم بمواضع العطف والاستئناف والاهتداء إلى كيفية إيقاع حروف العطف في مواقعها.

وثالثاً: الضبطُ وهو حذف فُضول الكلام وإسقاطُ مشتركات الألفاظ كقول قيس بن الخطيم المُتوفَّى سنة ٦١٢م.

[الطويل]

أرى الموتَ لا يَرْعى على ذي قرَابةٍ وإنْ كان في الدّنيا عزيزاً بمقعدِ

لَـعَـمْـرُكَ مـا الأيـامُ إلّا مُـعَـارةٌ فما اسطَعْتَ مِن معروفِها فَتَزَوَّدِ

ورابعاً: الطبَعيّةُ بأن يَخْلُو الكلامُ من التكلُّف والتَّصنُّع كما قال في رثاء ابنهِ أبو العَتَاهِيّة المُتوفَّى سنة ٢١١هـ:

[الوافر]

بَكيتُك يا بُنَيَّ بدمعِ عَيني فلَم يُغْنِ البكاءُ عليكَ شَيّا

وكانت في حَياتِك لي عِظاتٌ وأنتَ اليومَ أوعظُ منكَ حَيّا

وذلك لأن مَن تَطبَّع بغير طبعه نَزَعَتْه العادة حتى تردّه إلى طبعه، كما أنّ الماء إذا أسختهُ وتركتهُ عاد إلى طبعه من البُرودة. وحينئذٍ الطبع أملك.

وخامساً: السُّهولة بأن يَخْلُص الكلام من التَّعسُّف في السَّبْك وأن يَخْتارَ ما لانَ منها كما قال في الأشواق بَهاءُ الدّين زهير المتوفَّى سنة ٦٥٦هـ:

[المجتث]

شَـوْقـي إلـيـكَ شَـديـدٌ كـمـا عـلـمْـتَ وأزيـدْ

فـكـيـفَ تـنـكِـرُ حُـبّـاً بـهِ ضـمـيـرُك يـشـهـدْ

وأن تُهذّبَ الجُمل وأن يأْتلَفَ اللفظ مَعَ اللفظ مع مُرَاعاةِ النّظير كما قال الشّاعر في الوداع:

[المنسرح]

فـي كـنَـفِ الله ظَـاعِـنٌ ظَـعـنَـا أودَع قَـلـبـي ودَاعـه حـزنـا
لا أبـصـرَتْ مُـقـلَـتـي مَـحَـاسـنَـه إنْ كـنـتُ أبـصـرْتُ بـعـده حَـسـنـا

قال بعض البُلغَاء: أحذّركم من التقعير والتَّعمُّق في القول وعليكم بمحاسن الألفاظ والمعاني المُـتخفّة المُستملحة، فإنَّ المعنى المليح إذا كُسيَ لفظاً حَسناً وأعاره البليغُ مخرجاً سهلاً كان في قلب السَّامع أحلى ولصدره أملأ. قال البُـحْتي:

[الوافر]

إذا انـقـادَ الـكـلامُ فـقـدهُ عـفـواً إلـى مـا تـشـتـهـيـه مـن الـمـعـانـي
ولا تُـكـرهْ بَـيَـانَـكَ إنْ تـأبّـى فـلا إكْـراهَ فـي ديـن الـبـيَـانِ

وسادساً: الاتّساق بأنْ تتَناسبَ المعاني كقول المُتنبي المتوفّى سنة ٣٥٤هـ:

[الطويل]

وما زلتُ حتى قادَني الشوقُ نحوَه يُـسـايـرُني في كـلّ رَكـبٍ لـه ذكـرُ[١]
وأسْـتَـكْـبـرُ الأخـبَـارَ قَـبْـلَ لِـقَـائِـهِ فلمّا التقينا صَغّرَ الـخبَرَ الـخُبْرُ

وسابعاً: الجزالة وهي إبرازُ المعاني الشَّريفة في مَعارضَ من الألفَاظ الأنيقةَ[٢] اللّطيفة كقَوْل الصَّابئ المتوفّى سنة ٣٨٤هـ.

[الكامل]

لَك في المحَافل منْطقٌ يَشْفي الجوَى ويَـسـوغُ فـي أذُن الأديـب سُـلَافُـهُ[٣]

---

(١) خبر مازلت يسايرني، والركب: جماعة الراكبين. أي ما زلت أسمع ذكره في كل ركب صحبته حتى قادني الشوق إلى زيارته. والمتنبي يمدح علياً الأنطاكي. ومعنى البيت الثاني: أني ما زلت أستعظم ما يذكر لي من أخباره حتى لقيته فصغرت عندي تلك الأخبار بالنسبة إليه لأني وجدته أعظم مما وصفوا.

(٢) الأنيقة: المعجبة.

(٣) الجوى: الحرقة؛ السلافة: الخمرة، والسلاف من كل شيء: خالصه.

فكأنّ لفظَكَ لؤلؤٌ مُتنخّلٌ وكأنّما آذانُنا أصدافُهُ[1]

وأمّا عُيوبه فسبعة: **الهُجْنةُ** بأن يكون اللفظ سخيفاً والمعنى مُسْتقبحاً كقوله:

[الرمل]

وإذا أدنيْت منهُ بصَلاً غَلبَ المسكُ على ريح البَصلْ

والوحشيّة: كونُ الكلام غليظاً تمجُّه الأسماعُ وتنفُرُ منهُ الطّباع كقوله:

[الوافر]

وما أرْضَى لمُقلتهِ بحُلم إذا ٱنْتَبَهَتْ توَهَّمهُ ٱبتشَاكا[2]

والرَّكاكة: ضعفُ التأليف وسخافة العبارة كقول المُتَنَبّي المتوفّى سنة ٣٥٤هـ.

[الكامل]

إنْ كان مِثلك كان أو هو كائنٌ فبرئتُ حينئذٍ من الإسلام

والسَّهوُ: عبارة عن ضعف البصَر بمواقع الكلام كقول المُتَنبّيّ يُشَبّه ممدوحَه بالله تعالى (وهو كفرٌ):

[الكامل]

تَتقاصرُ الأفهامُ عن إدراكه مِثْل الذي الأفلاكُ منهُ والدُّنى[3]

والإسهاب: الإطالة الزائدة المُملّة في شَرح المادَة والعُدول إلى الحشو كقوله:

[البسيط]

وأعني فتىً لم تذر الشَّمسُ طالعةً يوماً من الدّهر إلا ضَرَّ أو نفَعا

والجفاف: الإيجَاز والاختصار المخلّ كقول الحارث بن حِلّزةَ المتوفّى سنة ٥٣٢هـ.

[الكامل]

والعَيْشُ خيرٌ في ظلال النّوكِ ممَّن عاشَ كَدّا[4]

---

(١) متنخّل: مصطفى ومختار.

(٢) يقول: وإن حدثه حلم في نومه عن شكري له فلا أرضى به لعله يتوهمه كذباً.

(٣) الدّنى: الدنيا.

(٤) النوك: الحمق؛ كدًّا: تعباً.

وَوَحدَةُ السّياق: التزام أسلوب واحد من التعبير وطريقة واحدة من التركيب بحيث تكون للأذهان كلالاً[١] وللقلوب ملالاً[٢].

وللكلام عُيوبٌ كثيرة منها: اللحْنُ ومُخالفة القياس الصَّرْفي وضعف التّأليف والتّعقيدُ والتكرار وتتابُعُ الإضافات، إلى غير ذلك من الأشياء التي تكون ثقيلةً على اللّسان مُخالفةً للذّوق والعُرْفِ غريبة على السّمع[٣].

وأمّا طبقاته فثلاثٌ: **الأولى**: الطبقة السُّفلى ومرجعها إلى الإنشاء السّاذَج وهو ما عَرَا عن رِقّة المعاني وَجَزَالَة الألفاظ والتأنق في التّعبير، فهو بالكلام العَاديّ أشْبَهُ لسُهُولة مَأْخذِهِ وقُرْبِ مَوْرده. ويُستعملُ في المحافِل العُموميَّة ليَقْرُبَ مَنالُ المعاني على جُمهور السّامعين في المقالات والتآليف العلميّةِ لينْصَرفَ الذهْن إلى أخذ المعنى وليس دونهُ حائلٌ من جهة العِبارة، وفي المكاتَبات الأهليَّة والرّحلات والأسفار والأخبار وما شابه ذلك.

الثانية: الطبقةُ العليا ومرجعها إلى الإنشاء العالي وهو ما شُحِن بغُرَر الألفاظ وتَعَلّقَ بأهداب المجاز ولطائف التخيّلات وبدائِع التّشابيه فيفتنُ ببرَاعته العُقولَ ويسحَرُ الألبابَ، ويَصلُحُ في التَّرسُّل بين بُلغاء الكتَّاب وفي المجالس الأدبيّة وديباجة بعض التّصانيف، إلى غير ذلك من المواضع التي مِن شأنها الزّجر وتحريك العواطف والحماسة.

الثالثة: الطبقة الوُسْطى ومَرجعها إلى الإنشاء الأنيق[٤] وهو ما توسَّط بين

---

(١) كلالاً: سيئة.

(٢) ملالاً: سآمة.

(٣) حكي عن الصفي الحلي أن بعض الفضلاء بلغه أنه اطلع على ديوانه وقال: لا عيب فيه سوى أنه خال من الألفاظ العربية فأجابه الصفي: [**الخفيف**]

إنما الحيزبون والدردبيس ... والطخا والنقاخ والعلطبيس
لغة تنفر المسامع منها ... حين تروى وتشمئز النفوس
وقبيح أن يسلك النافر الـ ... ـوحشي منها ويترك المأنوس
أن خير الألفاظ ما طرب الـ ... ـسامع منه وطاب فيه الجليس
ولذيذ الألفاظ مغناطيس

(٤) الأنيق: المعجب.

الإنشاء العالي والسّاذج فيأخذ من الأول رونَقَه ورشاقَتَهُ ومن الثاني جلاءه وسَلَاسته. ويَصلُحُ في مُراسَلات ذَوي المَراتب وفي الروايات المُنَمّقة والأوصاف المُشْهِبة وفي خُطب المحافل وما أشبه ذلك[١].

وأما محاسنهُ فهي أساليب وطرائق معلومةٌ وُضِعت لتَزيين الكلام وتَنْميقه لغرض أن يتمكّن البليغُ من ذِهن السّامع بما يُورده من أساليب الكلام المُستحسنة فيحرّك أهواء النفس ويُثير كامن حركاتها، ولغرض أن يكونَ قوله أشدّ اتصالاً بالعقل وأقربَ للإدراك بتصرّفه في فُنون البلاغة.

كيفية الشروع في عمل مواضيع الإنشاء

إذا عَنَّ[٢] لك أو ٱقْتُرِحَ عليك إنشاءُ موضوع فأنت مَنُوط[٣] إذاً بأمرين: التفكّرِ أوّلاً، والكتابةِ ثانياً. فإذا أنْعَمْتَ الفِكْرَ مليّاً[٤] في أجزَاء الموضوع بعد استيلاءِ الإحساس بها على قلبك وقلَّبتَها على جميع الأوجُه المُمكنة فيها تَولّد في خَيالك لكلّ جزء عِدَّةُ صُوَر[٥] تتفاوتُ في تأديته كتفاوتِ صوَر المنظُوم في الحُسن والقُبح، فبعضُها يستميلُ النّفوسَ بتأثيره في الحواسّ وبعضُها يُوجب نُفورَها وبعضُها بين بين. وإذا تشخّصت الصُّورُ في الخيال يتخيّر العقل منها ما له المكانةُ الرّفيعةُ في حُسن تأدية الغرَض المُناسب للمقام، فإن كان المقامُ للتّحريض على القتال مثلاً ٱنتخب الصُّورةَ المُهيّجةَ للإحساس المُشجّعةَ للنفس على ٱقتحام الأخطار، وإن كان المقامُ مقامَ فرح وسُرور ٱنتخِب ما يشرحُ الصُّدورَ وتَقَرُّ به العُيونُ وتروقُ به الأرواحُ ويُذهبُ عنها الحزنَ والأتراحَ[٦].

---

(١) الذي اشتهر بالإنشاء الساذج: السيوطي والماوردي والغزالي وأبو الفرج الأصفهاني وابن الأثير وأبو الفداء. والذي اشتهر بالإنشاء الأنيق: الثعالبي وابن خلكان وابن خلدون والطبري والفخري وابن المعتز والبهاء زهير وابن المقفع والمسعودي. والذي اشتهر بالإنشاء العالي: الحريري والهمذاني والمعري والأخطل وجرير وأبو تمام والبحتري والمتنبي وابن خاقان والعتبي والفارضي. واعلم أن طبقات الإنشاء كثيراً ما يختلط بعضها ببعض فيصعب تعيين طبقتها فربما جاء في القطعة الواحدة أشياء من الطبقات الثلاث لا يميزها إلا المنتقد البصير.

(٢) عنَّ: عرض. (٣) منوط: ملزم. (٤) مليّاً: ساعة طويلة.

(٥) أما إذا تساوت في حسن تأدية الغرض أخذ إحداها فقط ولا يحسن جمعها.

(٦) الأتراح: الأحزان.

=

وبعدَ تَشخُّص الصُّور وتخيُّر المُناسب منها تَعَيَّنَ أيها المُنشئُ، بحُسن تأليف وترتيب ما تخيَّرتَه بأن تجمَع الصُّور المُناسبةَ التي يرتبطُ بعضُها ببعض بدون تكلُّفٍ بحيث يكونُ المجموعُ مُنسجماً يَمضي وحدَه مع النّفس دُون عِلاجٍ وتَعبٍ في فَهم الغرَض منهُ، وحينئذٍ يُمكنك إظهارُ هذه الصورة المعقُولة في صُورةٍ محسوسة بواسطةِ القلم.

أركان الكتابة

اعلمْ أنَّ للكتابةِ أرْكاناً لا بُدَّ مِن إبداعِها في كلّ كتابٍ بلاغيّ ذي شأْنٍ. **أولها**: أن يكون مَطلعُ الكِتابِ عليهِ جِدَّةٌ[1] ورشاقَةٌ فإنَّ الكاتبَ مَن أجاد المطلعَ والمقطَع. أو يكون مبنيّاً على مقصِدِ الكتابِ. **الثاني**: أن يكون خروجُ الكاتبِ مِن معنىً إلى معنىً برابطَةٍ لتكونَ رقابُ المعاني آخذةً بعضُها ببعضٍ ولا تكونَ مقتضَبةً. **الثالثُ**: أن تكونَ ألفاظُ الكتاب غِيرَ مُخلَوْلقةٍ بكثرَة الاستعمال. وَلا أريدُ بذلك أن تكون ألفاظاً غريبةً فإنَّ ذلك عيبٌ فاحشٌ، بلْ أُريد أن تكونَ الألفاظُ المستعملةُ مسبوكةً سبكاً غريباً يظنُّ السّامعُ أنها غيرُ ما في أيدي الناسِ وهي مما في أيدي الناسِ.

وهُناكَ مُعْتَرَكُ الفصاحةِ التي تُظْهرُ فيه الخواطرُ براعتَها والأقلامُ شجاعتَها. وهذا الموْضِعُ بعيدُ المنال كثيرُ الإشكال يحتاجُ إلى لُطفِ ذَوْقٍ وشهامةِ خاطرٍ وليْس كلُّ خاطرٍ براقٍ إلى هذه الدرجةِ ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[2] ومع هذا فلا تظنَّ أيها الناظرُ في كتابي أني أردتُ بهذا القوْل إهمالَ جانِب المعاني بحيثُ يؤتى باللفظِ الموصوف بصفات الحُسن والملاحةِ ولا يكونُ

= **تنبيه**: يراعى حال المخاطب ومنزلته فإن ما يحسن عند الذكي لا يحسن عند الغبي، وما يناسب ذا الجد لا يناسب الهزلي، وما يصلح للرئيس لا يصلح للمرؤوس، فخاطب كلا على قدر أبهته وجلالته وعلوه وارتفاعه وفطنته ونباهته، فزنِ اللفظ قبل أن تخرجها ان التصريف إذا عرضت، وعاير الكلمة بمعيارها إذا سنحت فكلما احلولى الكلام وعذب وراق وسهلت مخارجه كان أسهل ولو جافى الأسماع، وأشدّ اتصالاً بالقلوب وخف على الأفواه ولاسيما إذا كان المعنى البديع مترجماً بلفظ مؤنق شريف ومعايراً بكلام عذب بدون تكليف ولا تعقيد. فالمعنى الخفي أشبه بالروح الخفي، واللفظ الظاهر، أشبه بالجثمان الظاهر وإلا تضاءل المعنى الحسن تحت اللفظ القبيح كتضاؤل الحسناء في الأمطار الرثة.

(١) جدّة: صار جديداً مبتكراً وهو نقيض الخلق أي البالي.

(٢) الحديد: ٢١.

تحتهُ من المعنى ما يماثُله ويُساويهِ، فإنهُ إذا كان كذَلك كان كصورةٍ حسنَةٍ بديعةٍ في حسنها إلا أنَّ صاحبَها بليدٌ أبلَهُ. والمرادُ أن تكونَ هذه الألفاظُ المشارُ إليها جسماً لمعنىً شريفٍ. على أنَّ تحصيلَ المعاني الشريفةِ على الوجهِ الذي أشرتُ إليهِ أيسرُ من تحصيلِ الألفاظِ المشار إليها. ولقد رأيتُ كثيراً من الجُهَّالِ الذينَ هم من السُّوقةِ أربابِ الحِرف والصنائع وما منهم إلّا من يقع لهُ المعنى الشريفُ ويظهَرُ من خاطرهِ المعنى الدقيقُ، ولكنَّهُ لا يُحسِنُ أن يُزوّجَ بيْن لفظَتيْنِ. فالعبارةُ عن المعاني هي التي تُخلَّبُ بها العقولُ. وعلى هذا فالناسُ كلُّهمْ مشتركونَ في استخراج المعاني فإنهُ لا يمنعُ الجاهلُ الذي لا يعرِفُ علماً منَ العلومِ أن يكونَ ذكياً بالفطرة. واستخراجُ المعاني إنما هو بالذَّكاءِ لا بتعلُّمِ العلمِ.

فإذا استكملتَ معرفةَ هذه الأركان وأتيْتَ بها في كلّ كتابٍ بلاغيّ ذي شأنٍ، فقدِ استحققتَ حينئذٍ فضيلَةَ التقدُّمِ، ووجبَ لك أن تسمي نفْسكَ كاتباً.

(عن المثل السائر باختصار)

كيفية نظم الكلام

إذا أردتَ أن تَصنع كلاماً فأخطرْ معانيه ببالكَ. وتنقَّ لهُ كرائمَ اللفظ واجعلْها على ذكْرٍ منكَ ليقرُبَ عليكَ تناوُلُها ولا يتعبكَ تطلُّبها. واعمله ما دمتَ في شبابِ نشاطكَ فإذا غشيكَ الفتورُ[1] وتخوَّنك الملالُ فأمسكْ. فإن الكثيرَ مع الملال قليلٌ والنَّفيس مع الضجرِ خسيسٌ. والخواطر كالينابيع يُسقَى منها شيءٌ بعدَ شيءٍ فتجدُ حاجتكَ من الريّ وتنالُ أربكَ[2] من المنفعةِ فإذا أكثرتَ عليها نضبَ[3] ماؤها وقلَّ عنك عَناؤها. واعلمْ أنَّ ذلك أجدى عليك مما يُعطيكَ يومكَ الأطولُ بالكدّ والمطالبةِ والمجاهدةِ والتكلُّف والمعاودة. وإيّاك والتوعُّرَ فإنَّ التوعرَ يسلمكَ إلى التعقيدِ والتعقيدُ هو الذي يستهلكُ معانيكَ ويشينُ ألفاظكَ. ومنْ أرادَ معنى كريماً فليلتمسْ لهُ لفظاً كريماً فإنَّ منْ حقّ المعنى الشريفِ اللفظَ الشريفَ. فإذا لم تجدِ اللفظةَ واقعةً موقعها صائرةً إلى مستقرّها حالَّة في مركزها متصلةً بسلكها بل وجدْتها قلقةً في موضعها نافرةً عن مكانها، فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنُّزولِ في غيْرِ أوطانها، فإنكَ إن لم تتعاطَ قريضَ الشّعر المنظومِ ولم تتكلَّفِ اختيارَ الكلام

(١) الخمول. (٢) حاجتك. (٣) غار.

المنثور لم يعبك بذلك أحدٌ. وإن تكلفتهُ ولم تكن حاذقاً مطبوعاً ولا محْكِماً لشأنِكَ بصيراً عابكَ من أنت أقلُّ عيْباً منهُ وَزرى[1] عليك من هو دونك.

فإنْ لم تسمحْ لك الطبيعةُ بنظم الكلام في أوَّلِ وهلة وتعصَّى عليكَ بعدَ إجالةِ الفكرةِ فلا تعجلْ ودَعْه سحابةَ يومِك ولا تضجرْ وأمهلهُ سوادَ ليلَتِكَ وعاودْهُ عندَ نشاطِكَ فإنَّكَ لا تعدَمُ الإجابةَ والمؤاتاة. فإنْ تمنعَ عليك بعد ذلك مع ترويح الخَاطر وطول الإمهال فتحوَّلْ منْ هذه الصناعةِ إلى أشهَى الصّناعاتِ إليكَ وأخفّها عليكَ، فإنكَ لم تَشتهِها إلّا وبينَكما نسبٌ. والشيءُ لا يحنُّ إلا إلى ما شاكلَهُ.

وينبغي أن تعرفَ أقدارَ المعاني فتوازنَ بينها وبينَ أوزان المستمعين وبين أقدار الحالاتِ فتجعلَ لكلّ طبقةٍ كلاماً ولكلّ حالٍ مقاماً حتى تَقسم أقدارَ المعاني على أقدارِ المقامات، وأقدارَ المستمعينَ على أقدارِ الحالاتِ.

عن كتاب (الصناعتين) باختصار

الطريق إلى تعلم الكتابة

إنّ الطريقَ إلى تعلُّم الكتابةِ على ثلاثِ شُعَبٍ: **الأولى**: أنْ يتصفّح الكاتبُ كتابة المتقدّمينَ ويطّلعَ على أوضاعهمْ في استعمالِ الألفاظِ والمعاني ثمَّ يحذوَ حذْوَهم، وهذه أدنى الطبقاتِ عندي. **والثانيةُ**: أنْ يمزجَ كتابة المتقدمين بما يستجيدهُ لنفسهِ منْ زيادة حسنهِ؛ إمّا في تحسينِ ألفاظ أو في تحسينِ معانٍ، وهذه هي الطبقةُ الوسطى وهي أعلى من التي قبلها. **والثالثةُ**: أن لا يتصفحَ كتابةَ المتقدمين ولا يطّلعَ على شيء منها، بل يصرفَ همَّه إلى حفظ القرآنِ الكريم وعدّةٍ منْ دواوين فحول الشُّعراءِ ممنْ غلبَ على شعْره الإجادَةُ في المعاني والألفاظِ، ثم يأْخذَ في الاقتباس فيقومُ ويقعُ ويخطئُ ويصيبُ ويضلُّ ويهتدي حتى يستقيمَ على طريقةٍ يفتتحُها لنفسهِ. وأخلق بتلك الطريق أن تكون مبتدعَةً غريبةً لا شركةَ لأحد من المُتقدّمين فيها. وهذه الطريقُ هي طريقُ الاجتهاد وصاحبُها يعدُّ إماماً في فنّ الكتابةِ إلّا أنها مستوْعِرةٌ[2] جدّاً ولا يستطيعُها إلّا من رزقَهُ الله لساناً هجَّاماً وخاطراً رقَّاماً. ولا أريدُ بهذه الطريقِ أن يكونَ الكاتبُ مرْتبِطاً في كتابتِهِ بما يستخرجه مِنَ القرآنِ

(١) زرى: أعاب.
(٢) وعرة، عسيرة.

الكريم والشّعر بحيثُ إنَّه لا ينشئُ كتاباً إلّا من ذلك بلْ أريدُ أنَّه إذا حفِظَ القرآنَ وأكثرَ من حفظِ الأشعارِ ثم نقَّبَ عن ذلك تنْقِيبَ مُطَّلع على معانيهِ مفتشٍ عن دفائنهِ وقلَّبهُ ظَهراً لبطنٍ عرفَ حينئذٍ من أينَ تُؤْكل الكَتِفُ فيما ينشئُه منْ ذَاتِ نفسهِ واستعانَ بالمحفوظِ على الغريزة الطبيعيَّة.

عن (المثل السائر) باختصار

كيفية تهذيب الكلام وأوقات تأليفه

تَهذيبُ الكلامِ عبارةٌ عنْ تَرْدادِ النظرِ فيهِ بعدَ عملهِ نظماً كانَ أو نثْراً وتَغييرِ ما يجبُ تغييرُه وحذفِ ما ينبغي حذفهُ وإصلاحِ ما يتعيَّنُ إصلاحهُ وتحريرِ ما يَدقُّ من معانيهِ واطّراحِ ما يتجافَى عن مضاجعِ الرِّقَّةِ من غليظِ ألفاظهِ، لتُشْرِقَ شموسُ التهذيبِ في سماءِ بلاغتهِ وترشُفَ الأسماعُ على الطرَبِ رقيقَ سُلافتِهِ. فإنَّ الكلامَ إذا كان موصوفاً بالمهذَّبِ منعوتاً بالمنقَّحِ، علتْ رتبتُهُ وإنْ كانت معانيهِ غيرَ مبتكَرةٍ. وكلُّ كلامٍ قيلَ فيهِ: لو كان موضِعَ هذه الكلمةِ غيرُها ولو تقدَّم هذا المتأخّرُ وتأخرَ هذا المتقدّمُ. أو لو تُمِمَ هذا النقصُ بكذا أو لو تكمَّلَ هذا الوصفُ بكذا. أو لو حُذِفتْ هذه اللفظةُ أو لو اتّضحَ هذا المقْصدُ وسهُلَ هذا المطلبُ لكانَ الكلامُ أحسنَ والمعنى أبيَنَ. كان ذلك الكلامُ غير منتظمٍ في نوعِ التهذيبِ.

وكان زُهَيْرُ بنُ أبي سُلمى معروفاً بالتنقيحِ والتهذيبِ وله قصائدُ تعرَفُ بالحوْليَّاتِ. قيلَ: إنَّه كانَ ينظِمُ القصيدةَ في أرْبعةِ أشهُرٍ ويهذبُها وينقِّحُها في أربعةِ أشهرٍ ويعرِضُها على علماءِ قبيلتهِ أربعةَ أشهرٍ. ولهذا كانَ الإمامُ عمرُ بن الخطابِ مع جلالتهِ في العلمِ وتقدُّمهِ في النقدِ يقَدّمهُ على سائرِ الفحولِ من طبقتهِ وما أحسنَ ما أشارَ أبو تمَّام إلى التهذيبِ بقولهِ:

[الكامل]

خذْها ابنةَ الفكْرِ المهذَّبِ في الدُّجى[1] والليلُ أسودُ رقعةِ الجلبابِ

فإنهُ خصَّ تهذيبَ الفكْرِ بالدُّجى لكونِ الليلِ تهدأُ فيه الأصواتُ وتسكُنُ الحركاتُ فيكونُ الفكْرُ فيه مُجتمِعاً ومرآة التهذيبِ فيه صقيلةً، لِخُلوّ الخاطرِ وصفاء القريحةِ لا سيَّما وسطَ الليل.

---

(١) سواد الليل وظلمته.

قال أبو عبادَة البُحْتُرِيُّ: كنتُ في حداثتي أروي الشّعرَ وكنتُ أرجعُ فيهِ إلى طبعٍ سليمٍ ولم أكنْ وقفتُ لهُ على تـهيلِ مأخذٍ ووجوهِ اقتضابٍ، حتى قصدتُ أبا تمّامٍ وانقطعْتُ إليه واتكلْتُ في تعريفهِ عليه. فكانَ أوّلَ ما قالَ لي: يا أبا عبادةَ تخيَّرِ الأوقاتَ وأنتَ قليلُ الهمومِ صفْرٌ[1] منَ الغموم.

واعْلم أنَّ العادةَ في الأوقاتِ، إذا قصدَ الإنسانُ تأليفَ شيءٍ أو حفظَهُ أنْ يختار وقتَ السَّحرِ ـ وذلك أن النفسَ تكونُ قد أخذَتْ حظَّها من الراحة، وقسطَها من النوْمِ وخفَّ عليها ثِقَل الغذاءِ. واحذَر المجهولَ منَ المعاني، وإيّاك أن تشينَ[2] شعْرَكَ بالألفاظِ الوحشيَّة، وناسِبْ بين الألفاظِ والمعاني في تأليفِ الكلامِ، وكن كأنكَ خيَّاطٌ تقدّرُ الثيابَ على مقاديرِ الأجسام. وإذا عارَضَكَ الضجرُ فأرحْ نفسكَ لا تعملْ إلَّا وأنتَ فارغُ القَلْبِ ولا تنظمْ إلّا بشهوةٍ، فإنَّ الشهوَةَ نعمَ المعينُ على حسْنِ النظم. وجُملةُ الحالِ أنْ تعتبرَ شِعْرَكَ بما سلف من أشعارِ الماضينَ، فما اسْتَحسَنَ العلماءُ فاقصدْهُ وما استقبحوه فاجتنبْهُ.

(عن خزانة الأدب وزهر الآداب باختصار)

محاسن الإنشاء ومعايبه

إنَّ للنثْر محاسنَ ومعايبَ، يجب على المنشئ أن يفرق بينهما مُحترزاً مِن استعمالِ الألفاظِ الغريبةِ وما يخلُّ بفهم المراد ويوجبُ صعوبتهُ ولا بُدَّ من أنْ يجعلَ الألفاظَ تابعةً للمعاني دون العكسِ؛ لأن المعاني إذا تركبتْ على سَجيتها طلبتْ لأنفسها ألفاظاً تليقُ بها فيحسنُ اللفظُ والمعنى جميعاً. وأما جعلُ الألفاظ متكلفةً والمعاني تابعةً لها فهو شأن من لهم شغفٌ بإيراد شيءٍ منَ المحسنات اللفظية فيصرفون العنايةَ إليها ويجعلون الكلام كأنهُ غير مسوقٍ لإفادة المعنى. فلا يبالون بخفاءِ الدلالات وركاكة المعنى. ومن أعظم ما يليق بمن يتعاطى الإنشاءَ أن يكتب ما يراد لا ما يريد كما قيل في الصاحب والصابئ: أن الصابئ يكتب ما يراد والصّاحب يكتبُ ما يريدُ.

(عن آداب المنشئ ببعض تصرف)

---

(١) خالٍ. (٢) تشوّه.

فصاحة الألفاظ ومطابقتها للمعاني

فصاحةُ الألفاظِ تكون **بثلاثة أوجه**: **الأول**: مجانبةُ الغريب الوحشيّ حتى لا يمجّه[١] سمع ولا ينفر منهُ طبعٌ. **والثاني**: تنكُّبُ اللفظ المبتذلِ والعدول عن الكلام المسترذلِ حتى لا يستسقطهُ خاصيٌّ ولا ينبو عنهُ فهمُ عاميّ كما قال الجاحظ في «كتابِ البيانِ»: أما أنا فلم أرَ قوماً أمثلَ طريقةً في البلاغةِ منَ الكتَّابِ وذلك أنهم قدِ ٱلتَمَسوا منَ الألفاظِ ما لم يكنْ متوعّراً وحشياً ولا ساقطاً عاميّاً. **والثالثُ**: أن يكونَ بينَ الألفاظِ ومعانيها مُناسبَةٌ ومُطابَقةٌ؛ أما المطابَقة فهي أن تكونَ الألفاظُ كالقوالبِ لمعانيها فلا تَزيدُ عليها ولا تنقُصُ عنها. وأما المناسبةُ فهي أنْ يكونَ المعنى يليقُ ببعضِ الألفاظِ إما لعُرفٍ مستعملٍ أو لاتفاقٍ مستحسَنٍ حتى إذا ذكرْتَ تلك المعاني بغيرِ تلك الألفاظِ كانتْ نافرةً عنها وإن كانتْ أفصحَ وأوضحَ لاعتيادِ ما سواها.

(عن أدب الدين والدنيا باختصار)

حقيقة الفصاحة

اعلم أنَّ هذا موضوعٌ متعذّرٌ على الوالجِ[٢] ومسلكٌ متوعّرٌ على الناهجِ. ولم تزَلِ العلماءُ منْ قديم الوقت وحديثهِ يُكْثرونَ القولَ فيه والبحثَ عنهُ. ولم أجدْ منْ ذلك ما يعوَّل عليه إلّا القليلَ. وغايةُ ما يقالُ في هذا البابِ أنَّ الفصاحةَ هي الظهورُ والبيانُ في أصلِ الوضعِ اللغويّ يقالُ: أفصحَ الصبحُ إذا ظهرَ. ثم أنهمْ يقِفونَ عند ذلك ولا يكشِفُونَ عن السِرّ فيه. وبهذا القولِ لا تتبيَّنُ حقيقةُ الفصاحةِ لأنهُ يُعترَضُ عليه بوُجوهٍ منَ الاعتراضاتِ.

الوجه الأول: أنهُ إذا لم يكُنِ اللفظُ ظاهراً بيّناً لم يكنْ فصيحاً ثم إذا ظهرَ وتبيَّنَ صارَ فصيحاً.

الوجهُ الثاني: أنهُ إذا كانَ اللفظُ الفصيحُ هو الظاهر البيّن فقد صارَ ذلك بالنسبِ والإضافاتِ إلى الأشخاص. فإنّ اللفظَ قد يكونُ ظاهراً لزيد ولا يكونُ ظاهراً لعَمْرٍو. فهو إذاً فصيحٌ عند هذا وغيرُ فصيح عند ذاك. وليسَ كذلك بل

(١) لا يسيغه.
(٢) الداخل.

الفصيحُ هو فصيحٌ عند الجميعِ لا خلافَ فيه بحال من الأحوالِ؛ لأنه إذا تحقَّقَ حدُّ الفصاحةِ وعُرِفَ ما هي لم يبقَ في اللفظِ الذي يختصُّ بهِ خلافٌ.

الوجهُ الثالثُ: أنه إذا جيءَ بلفظٍ قبيحٍ ينْبو عنهُ السَّمْعُ وهو مع ذلك ظاهرٌ بيّنٌ ينبغي أنْ يكونَ فصيحاً. وليس كذلك لأنَّ الفصاحةَ وصف حُسْنٍ للَّفْظِ لا وصفُ قبح.

ولمَّا وقفْتُ على أقوالِ الناسِ في هذا البابِ ملكَتْني الحيْرَةُ فيها ولم يثبُتْ عندي منها ما أُعوّلُ عليه. ولكثرَةِ مُلابَسَتي هذا الفنَّ ومُعاركتي إيّاهُ انكشَفَ لِيَ السرُّ فيه وسأُوضحُهُ في كتابي هذا وأُحقّقُ القولَ فيه فأقولُ:

إنَّ الكلامَ الفصيحَ هو الظاهرُ البيّنُ. وأعني بالظاهرِ البيّنِ أن تكونَ ألفاظهُ مفهومةً لا يُحتاجُ في فَهمِها إلى استخراجٍ من كتابِ لغةٍ. وإنما كانتْ بهذه الصفةِ لأنها تكونُ مألوفَةَ الاستعمالِ بينَ أربابِ النظْمِ والنثرِ دائرةً في كلامهِمْ. وإنما كانتْ مألوفةَ الاستعمالِ دائرةً في الكلام دونَ غيرِها من الألفاظِ لمكان حسنِها. وذلك أنَّ أربابَ النظمِ والنثرِ غرْبَلوا اللغةَ باعتبارِ ألفاظِها وسبرُوا وقسَّموا، فاختارُوا الحسنَ منَ الألفاظِ حتى ٱستعْملوهُ وعلموا القبيحَ منها فلمْ يستعملوهُ. فحسنُ الاستعمالِ سببُ ٱستعمالها دونَ غيرِها. واستعمالُها دونَ غيرِها سببُ ظهورِها وبيانِها. فالفصيحُ إذاً منَ الألفاظ هو الحَسنُ.

فإنْ قيلَ منْ أيّ وجه عَلِمَ أربابُ النَّظمِ والنثرِ الحسَنَ منَ الألفاظِ حتى ٱستعملوهُ وعَلموا القبيحَ منها حتى نَفَوْهُ ولم يستعملوهُ، قلتُ في الجوابِ: إنَّ هذا من الأمورِ المحسوسةِ التي شاهدُها منْ نَفسِها؛ لأنَّ الألفاظَ داخلةٌ في حيّزِ الأصوات، فالذي يستلذُّهُ السَّمْعُ منها ويميلُ إليه هو الحسَنُ. والذي يكرَهُهُ وينفِرُ عنهُ هو القبيحُ. ألا ترَى أنَّ السمْعَ يستلذ صوْتَ البلبلِ منَ الطّيرِ وصوت الشُّحْرُورِ ويميلُ إليهما، ويكْرَه صوْتَ الغرابِ وينْفرُ عنهُ. وكذلك يكرَهُ نهيقَ الحمارِ.ولا يجدُ ذلك في صهيلِ الفرَسِ.

والألفاظُ جاريةٌ هذا المجرَى فإنَّهُ لا خلافَ في أنَّ لفظةَ المُزْنَة[1] والدّيْمَةِ[2] حسَنَةٌ يستلذُّها السَّمْعُ، وأنَّ لفظةَ البُعاقِ[3] قبيحةٌ يكرَهُها السمعُ. وهذه اللفظاتُ

(١) المطرة. (٢) المطر يطول زمانه. (٣) المطر المفاجئ.

الثَّلاثُ منْ صفةِ المطرِ وهي تدُلُّ على معنى واحد. ومع هذا فإنكَ تَرى لفظَتي المُزْنةِ والدّيمة وما جرَى مَجْرَاهُما مألوفتي الاستعمال، وترَى لفظَ البُعاقِ وما جرى مَجْراه متروكاً لا يُستعمَلُ. وإنِ استُعمِلَ فإنما يَستَعمِلهُ جاهلٌ بحقيقةِ الفصاحةِ أو مَن ذوْقهُ غيرُ ذوْقٍ سليم. ولا جرَمَ أنهُ ذُمَّ وقُدحَ فيه ولم يُلتفَتْ إليه وإنْ كانَ عربيّاً محضاً منَ الجاهليةِ الأقدمينَ. فإنَّ حقيقةَ الشيءِ إذا عُلمَتْ وجب الوقوفُ عندها ولم يُعرَّجُ على ما خَرَجَ عنها.

(عن ابن الأثير باختصار)

الانسجام

الانسجامُ **لغةً**: جريَانُ الماءِ. وعندَ أهلِ البلاغةِ هو أن يأْتي الناظمُ أو الناثر بكلَامٍ خالٍ منَ التعقيدِ اللفظيّ والمعنويّ بسيطاً مفهوماً دقيقَ الألفاظِ جليل المعنى لا تكلُّفَ فيه ولا تعسُّفَ يتحدَّرُ كتحدُّرِ الماءِ المنسجِم فيكادُ لسهولة تركيبهِ وعذوبةِ ألفاظهِ أنْ يسيلَ رقَّةً. ولا يكونُ ذلك إلَّا في منْ هو مطبوعٌ على سلامةِ الذوْقِ وتوقدِ الفكرةِ وبراعةِ الإنشاءِ وحسْنِ الأساليبِ.

وإنَّ فحولَ هذا الميْدانِ ما أثقلوا كاهلَ سهولتهِ بنوْعٍ من أنواعِ البديعِ اللهمَّ إلا أن يأتيَ عفواً من غيرِ قصد. وعلى هذا أجمعَ علماءُ البديع في حدِّ هذا النَّوعِ فإنهم قرَّرُوا أنْ يكونَ بعيداً من التصنُّعِ خالياً منَ الأنواعِ البديعيَّةِ إلَّا أنْ يأتي في ضِمْنِ السُّهولة مِنْ غيرِ قصدٍ. فإنْ كانَ الانسجامُ في النثر تكونُ أغلبُ فقَراتهِ موزونَةً من غيرِ قَصدٍ، وإنْ كانَ في النَّظْمِ فتكادُ الأبياتُ أن تسيلَ رقةً وعذوبةً وربما دخلتْ في المُطْرِبِ المرْقصِ.

(عن بديعة العميان وبديعة الحموي)

حَلُّ الشِّعْرِ

حلُّ الأبياتِ الشعْرِيَّة ينقسمُ إلى **ثلاثة أقسام**:

الأوَّل: منها وهو أدناها مَرْتبةً أنْ يأْخذَ الناثرُ بيتاً منَ الشعرِ فينثُرَهُ بلَفْظهِ من غيرِ زيادةٍ وهذا عيْبٌ فاحشٌ. ومثالهُ كمَنْ أخذَ عِقداً قد أُتقِنَ نظمهُ وأحسِنَ تأليفُهُ فأَوهاهُ[1] وبدَّدَهُ وكانَ يقومُ عذْرُهُ ذلك أنْ لوْ نقلَهُ عنْ كوْنهِ عقداً إلى صورةٍ أُخرى

(١) أضعفه.

مثلهِ أو أحسنَ منهُ. وأيضاً فإنهُ إذا نُثرَ الشعْرُ بلفظهِ كانَ صاحبهُ مشهورَ السرِقة فيقالُ هذا شعرُ فلانٍ بعينهِ لكونِ ألفاظهِ باقيةً لم يتغيّر منها شيءٌ. وقد سلكَ هذا المسلكَ بعضُ العراقيينَ فجاءَ مُـتهجناً كقوله في بعض أبياتِ الحماسَةِ:

[الكامل]

وألـدَّ[1] ذي حَـنَـقٍ عـلـيَّ كـأنـمـا تَـغْـلـي عـداوةُ صـدْرِهِ فـي مِـرْجَـلِ
أَزْجيـتُـه[2] عـنـي فـأبـصـرَ قـصـدَهُ وكـويـتُـه فـوْقَ الـنَّـواظـرِ مـنْ عَـلِ

فقال في نثرِ هذيْنِ البيتيْنِ: «فكمْ لقِيَ ألدَّ ذي حنَق كأنهُ ينظرُ إلى الكواكبِ من عَلٍ وتَغلي عداوَةُ صدرِهِ في مِرْجَلٍ فكوَاهُ فوقَ ناظرَيْه وأكبَّهُ لفمِهِ ويديْهِ». فلم يزدْ هذا الناثرُ على أنْ أَزَالَ روْنَقَ الوزْنِ وطلَاوةَ النظْمِ لا غَيرُ.

ومن هذا القسْمِ ضرْبٌ محمْودٌ لا عيْبَ فيه، وهو أنْ يكونَ البيْتُ من الشعرِ قد تضمَّن شيئاً لا يمكنُ تغييرُ لفظهِ فحينئذٍ يُعذَرُ ناثرُهُ إذا أتى بذلك اللفظِ. وكذلك الأمثالُ السائرةُ فإنَّه لا بدَّ من ذكْرِها على ما جاءَتْ في الشعرِ.

وأما القسْمُ الثاني: وهو وسَطٌ بيْنَ الأوّلِ والثالثِ في المرْتبةِ فهو أنْ ينثر المعنى المنظوم ببعْض ألفاظه ويُعَبَّرُ عن البعضِ بألفاظٍ أُخرَ. . هناكَ تَظْهَر الصنْعَةُ في المُماثَلةِ والمشابَهة ومؤاخاة الألفاظ الباقية بالألفاظ المرتجلة؛ فإنَّه إذا أخذَ لفظاً لشاعرٍ مُجيدٍ قد نقَّحَهُ وصحَّحَهُ فَقَرَنَهُ بما لا يُلائِمهُ كَانَ كَمَنْ جَمعَ بيْنَ لؤْلؤةٍ وحصاة. ولا خَفاءَ بما في ذلك من الانتصاب للقدْحِ[3] والاستهدافِ للطَّعنِ. والطريقُ المسلوكُ إلى هذا القسْم أن تأْخذَ بعضَ بيتٍ منَ الأبيات الشعريَّة هو أحسنُ ما فيه ثم تُماثِلُهُ.

وسأوردُ هٰهُنا مثالاً واحداً، ليكونَ قُدوةً للمتعلّم فأقولُ: قد وردَ هذا البَيتُ من شعرِ أبي تمامٍ في وصف قصيدة لهُ:

حـذَّاءَ تـمـلأ كـلَّ أُذْنٍ حـكـمـةً وبـلاغـةً وتُـدرُّ كـلَّ وريـدِ

فقولهُ: «تَملأُ كلَّ أُذْنٍ حكمةً» منَ الكلامِ الحسَنِ وهو أحسنُ ما في البيتِ. فإذا

(١) مخاصم، شديد الخصام. (٢) أبعدته. (٣) العيب.

أردْتَ أنْ تَنْثرَ هذا المعنى فلا بدَّ من استعمالِ لفظهِ بعينهِ لأنهُ في الغايةِ القُصوَى من الفصاحةِ والبلاغةِ. فعليكَ حينئذٍ أنْ تُؤاخيَهُ بمثلِهِ.

وهذا عسرٌ جدّاً وهو عندي أصعبُ مثالاً من نثرِ الشعرِ بغير لفظه لأنهُ مسلكٌ ضيّقٌ لما فيه منَ التعرُّضِ لِمماثَلةِ ما هو في غايةِ الحُسْنِ والجودةِ. وأما نثرُ الشعرِ بغيرِ لفظهِ فذلك يتصرَّفُ فيه ناثرُهُ على حسبِ ما يراهُ ولا يكون مُقيَّداً فيه بمثالٍ يضطرُّ إلى مؤاخاتهِ.

وقد نثرْتُ هذه الكلِماتِ المشارَ إليها وأتيتُ بها في جُملةِ كتابٍ فقلتُ: وكلامي قد عُرفَ بين الناسِ واشتهرَ وفاقَ مسيرَ الشَّمسِ والقمرِ. وإذا عُرفَ الكلامُ صارَتِ المَعرفَةُ لهُ علامةٌ وأُمنَ مِنْ سرقَتِهِ إذْ لو سُرِقَ لدَلَّتْ عليه الوَسَامةُ. ومَنْ خصائصِ صفاتهِ أنْ يملأ كلَّ أُذْنٍ حِكمةً، ويجعلَ فصاحةَ كلّ لسانٍ عُجْمَةً[1]. وإذا جرَتْ نفثاتُهُ في الأفهامِ قالتْ: أهذهِ بنتُ فكرَةٍ أمْ بنت كرْمَةٍ.

فانظرُ كيفَ فعلتُ في هذا الموضِعِ فإني لمَّا أخذتُ تلكَ الكلِماتِ منَ البيتِ الشعريّ التزمْتُ بأنْ أُؤاخيها بما هو مثلُها أو أَحسنُ منها فجئْتُ بهذا الفصل كما تَرَاهُ. وكذلك ينبغي أن يفعلَ في ما هذا سبيلهُ.

وأما القسْمَ الثالثَ: وهو أعْلى منَ القسْمَيْنِ الأوَّلَيْنِ فهو أنْ يأْخذَ المعنى فيصاغَ بألفاظ غيرَ ألفاظهِ. وثَمَّ يتبَيَّنُ حذقُ الصَّائغِ في صياغتِهِ ويعلَمُ مقدارُ تصرُّفهِ في صناعتهِ؛ فإن استطاع الزّيَادَةَ على المعنى فتلكَ الدَّرَجةُ العاليةُ وإلّا أحسنَ التصرُّفَ وأتقَنَ التأليفَ ليكونَ أوْلى بذلك المعنى منْ صاحبهِ الأوَّلِ.

واعلم أنَّ من أبياتِ الشعْرِ ما يتّسعُ المجالُ لناثِرِهِ فيوردهُ بضروب منَ العبارَاتِ، وذلك عندي شبيهٌ بالمسائلِ السيَّالَةِ في الحسابِ التي يجابُ عنها بعدَّةٍ منَ الأجوبةِ. ومنَ الأبياتِ ما يضيق فيه المجالُ حتى يكادَ الماهِرُ في هذه الصناعةِ أنْ لا يخرُجَ منْ ذلك اللفظِ وإنما يكونُ هذا لعدَم النظيرِ. فأمَّا ما يَتَّسِعُ المجالُ في نثرِهِ فكقولِ المتنبي:

[الكامل]

لا تَعذِلِ المشتاقَ في أشواقِهِ حتى يكونَ حشاكَ[2] في أحشائهِ

(١) إيهام. (٢) الحشا: مادون الحجاب الحاجز من الأعضاء.

وقد نثرْتُ هذا المعنى فمن ذلك قوْلي: لا تَعذُل المحِبَّ في ما يهواهُ حتى تَطْوِيَ القلبَ على ما طوَاهُ. ومنْ ذلك وجهٌ آخرُ وهو إذا اختلفَتِ العينانِ في النَّظرِ فالعذْلُ ضرْبٌ منَ الهذَرِ. وأمَّا ما يضيقُ فيهِ المجالُ فيعسُر على النَّاثِرِ تبدِيلُ ألفاظِهِ فكقوْلِ أبي تمَّامٍ:

[الطويل]

تردَّى ثيابَ الموْتِ حُمْراً فما أتى لها الليلُ إلّا وهيَ من سندسٍ خضرِ

قصدَ أبو تمَّامٍ المؤاخاةَ في ذِكْرِ لوْني الثيابِ منَ الأحمرِ والأخضر، وجاء ذلكَ واقعاً على المعنى الذي أرَادهُ من لونِ ثيابِ القَتْلى وثيابِ الجنَّةِ. وهذا البيتُ لا يمكنُ تبديل ألفاظهِ وهوَ وأمثالهُ مما يجبُ على النَّاثِرِ أنْ يُحسِنَ الصَّنعَةَ في فكّ نظامِهِ لأنهُ يتصدَّى لنثرِهِ بألفاظهِ. فإنْ كانَ عندَه قوَّةُ تصرفٍ وبَسْطَة عبارَةٍ فإنهُ يأتي به حسناً رائقاً.

وقد قلْتُ في نثْرِهِ: لم تَكْسِهِ المنَايا نسْجَ شِفَارِها[1] حتى كسْتْهُ الجنَّة نَسجَ شِعارِها، فبُدِّلَ أحمَرُ ثَوْبِهِ بأخضره وكأْسُ حِمامِهِ بكَأْسِ كوْثرِهِ.

وإذا انتهى بنا الكلامُ إلى ههنا في التنبيهِ على نثرِ الشعرِ، وكيفيَّةِ نثره، وذكْر ما يسهلُ منهُ وما يعسُرُ، فلنتْبع ذلك بقول كليّ في هذا البابِ فنقول: من أحبّ أن يكون كاتباً أو كان عندهُ طبع مجيبٌ فعليه بحفظ الدواوين ذوات العدد ولا يقنع بالقليل من ذلك. ثم يأخذ في نثر الشعر من محفوظاته.. وطريقهُ أن يَبتدئَ فيأخذ قصيداً من القصائد فينثرَهُ بيتاً بيتاً على التوالي. ولا يتكف في الابتداء أن ينْثُرَ الشّعر بألفاظه أو بأكثرها فإنهُ لا يستطيع إلا ذلك.

وإذا مَرِنَتْ نفسه، وتَدرّبَ خاطِره ارتفع عن هذه الدرجة وصار يأخذ المعنى ويكسوه عبارة من عنده، ثم يرتفعُ عن ذلك فيكسوهُ ضروباً من العبارات المختلفة. وحينئذٍ يحصُل لخاطره بمباشرة المعاني لقاح، فيستنتجُ منها معاني غير تلك المعاني.

وسبيله أن يكثِرَ الإدمانَ ليلاً ونهاراً، ولا يزال على ذلك مدَّةً طويلة حتى تصيرَ لهُ مَلكةٌ. فإذا كتب كتاباً أو خطب خطبةً تدفّقت المعاني في أثناء كلامه وجاءت

(١) الشفر: حرف كل شيء.

ألفاظه معسولة وكان عليها جدّة حتى تكاد ترقِصُ رقصاً ـ وهذا شيء خبرتُهُ بالتَّجربة ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[1].

(عن المثل السائر باختصار)

التخلص والاقتضاب في مواضيع الإنشاء

التخلُّصُ: هوَ أن يأخذَ مؤلّف الكلام في معنىً من المعاني، فبينما هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره، وجعل الأوّلَ سبباً إليه فيكونُ بعضهُ آخذاً برقاب بعضٍ من غيرِ أن يقطَعَ كلامَه ويستأنف كلاماً آخرَ، بل يكون جميع كلامِهِ كأنما أفرِغَ إفراغاً. وذلك مما يدلُّ على حِذق الشاعر وقوة تصرُّفه من أجل أن نطاقَ الكلام يَضيق عليه، ويكون متبعاً لِلوَزْن والقافية، تؤاتيه الألفاظ على حسب إرادته. وأما الناثر فإنهُ مطلق العنان يمضي حَيث شاءَ فلذلك يشقُّ[2] التخلُّص على الشَّاعر أكثرَ مما يشقّ على الناثر. ومما جاء من التخلُّصات الحَسنة قول المتنبّي المتوفّى سنة ٣٥٤هـ:

[الطويل]

خَليليّ إني لا أرى غيرَ شاعرٍ ... فَلِمْ منهم الدّعوى ومنّي القَصائدُ
فلا تعجبا إنّ السيوفَ كثيرةٌ ... ولكنّ سيفَ الدولة اليَوْمَ واحدُ

وهذا هو الكلام الآخذ بعضهُ برقاب بعض ألَا تَرَى إلى الخروج إلى مدح الممدوح في هذه الأبيات كأنهُ أُفرِغَ في قالبٍ واحد. والاقتضَاب أن يقطَع الشاعر كلامهُ الذي هو فيه ويستأنفَ كلاماً آخر غَيْرَه من مديح أو هِجَاءٍ أو غير ذلك، ولا يكون للثاني عِلَاقة بالأول كقول أبي نُوَاسٍ المتوفّى سنة ١٩٨هـ في قَصيدته النُّونية التي لم يكمِّل حسنَها بالتخلُّص من الغزَل إلى المديح بل اقتضبَه اقتضاباً فبينما هو يصِف الخمرَ ويقول:

[المديد]

فاسقني كأساً على عَذَلِ[3] ... كَرِهَتْ مسموعَه أُذني
مِن كُمَيْتِ اللّونِ صافيةٍ ... خيرِ ما سَلسلتَ في بَدَني
ما استقرّت في فؤادِ فتىً ... فدَرَى ما لوعَةُ الحَزَنِ

(١) فاطر: ١٤. (٢) يصعب. (٣) اللوم.

حتى قال:

تَضحَكُ الدنيا إلى ملكٍ قامَ بالآثار والسُّنَنِ
سَنّ للناس النَدَى[1] فندَوْا فكأنّ البخلَ لم يَكُنِ

وإذا لم يحسُن التخلُّصُ بأن كان قبيحاً ممسوخاً فالاقتضابُ أولى منهُ. فينبغي لسالك هذه الطريقة أن ينظر إلى ما يَصوغهُ، فإن أتاه التخلُّص حسناً كما ينبغي وإلا فلْيدَعْهُ ولا يَستكرهه حتى يكون مثل هذا.

واعلم أن التخلُّص غيرُ ممكن في كل الأحوال وهو من مُستصعبات علم البيان. فليتدبَّر الشاعر ذلك.

(عن المثل السائر بتصرف)

كيفية افتتاح مواضيع الإنشاء وختامها

الافتتاحُ أن تجعلَ مطلَع الكلام من الشّعر أو الرسائل دالّاً على المعنى المقصود. من ذلك الكلام إن كانَ فتحاً ففتحاً، وإن كان هَناءً فهناءً، أو كان عَزَاءً فعزاءً وهكذا. وفائدتُه أن يُعرَفَ من مبدأ الكلام ما المرَاد منهُ، فإذا نَظَمَ الشاعرُ قصيدةً فإن كانتْ مديحاً صِرْفاً[2] لا يختصُّ بحادثةٍ من الحوادث، فهو مخيَّرٌ بين أن يفتتحها بغزَلٍ، وبين أن يرتجِلَ المديح ارتجالاً من أولها كقول القائل:

[الكامل]

إن حارَتِ الألبابُ كيف تقولُ في ذا المقامِ فعذْرها مقبولُ
سامحْ بفضلكَ مادِحيكَ فما لَهم أبداً إلى ما تَستحِقُّ سبيلُ
إن كان لا يُرْضيك إلّا محْسِنٌ فالمحسِنُونُ إذنْ لديك قليلُ

وأما إذا كان القَصيدُ في حادثة من الحوادثِ كفتْح مُقفلٍ أو هزيمة جيش أو غيرِ ذلك، فإنهُ لا ينبغي أن يُبدَأ فيه بغزَلٍ. ومن أدب هذا النوع أن لا يذْكرَ الشاعرُ في افتتاح قصيدة المديح ما يُتَطيّر[3] منهُ أو يُسْتقبُح، لاسِيَّما إذا كان في التّهاني، فإنهُ يكون أشدَّ قبحاً، وإنما يُستعملُ في الخطوبِ النّازلة، والنّوائب الحادثة، ومتى كانَ

(١) الجود والسخاء. (٢) خالصاً. (٣) الطيرة: التشاؤم.

الكلامُ في المديح مُفْتتحاً بشيءٍ مِنْ ذلك تَطيّر منهُ سامعهُ. وإنما خُصَّت الابتداءاتُ بالاختيار لأنها أوّل ما يَطرُقُ السّمعَ من الكلام فإذا كان الابتداءُ لائقاً بالمعنى الوارد بعدَه توفّرت الدّواعي على استعماله.

والختامُ أن يكون الكلامُ مُؤْذناً بتمامه بحيث يكونُ واقعاً على آخر المعنى فلا ينتظرُ السامعُ شيئاً بعدَه. فعلى الشّاعر والنّاثر أن يتأنّقا فيه غاية التأنّقِ ويُجوّدا فيه ما استطاعا لأنه آخر ما ينتهي إلى السّمع ويترَدّدُ صداهُ في الأُذُنِ ويعلَّقُ بحواشي الذّكر فهو كَمَقْطَع الشّراب يكونُ آخرَ ما يَمرُّ بالفَم ويُعْرَضُ على الذّوق فيَشْعرُ منهُ بما لا يَشعرُ من سِوَاهُ. ولذلك ينبغي أن يكونَ الخِتامُ مُميّزاً عن سائر الكلام قبلهُ بنُكْتَةٍ لطيفةٍ أو أسلُوبٍ رَشيقٍ أو معنى بليغ. ويُختار له من اللفظ الرّقيقُ الحاشيةِ الخفيفُ المحملِ على السّمع السَّهلُ الوُرُود على الطّبع ويتجافى[1] به عن الإسهاب والتّعقيد و لثّقل وغير ذلك.

وحُكم الخِتام كما سبق أن يكون مؤذناً بتمام الكلام بحيث يكون واقعاً على آخر المعنى فلا ينتظر السّامع شيئاً بعده. وإذا لم يكن المعنى دالّاً بنفسه على الخِتام حَسُنَ أن يُدَلَّ عليه بكلام آخر يُذكر على عَقِب الفرَاغ من سياقةِ الأغراض السّابقة، وحكمهُ أن يكون منتزعاً مما سبقه فيُقَفَّى به تقريراً لشيءٍ من الأغراض أو إجمالاً لمفصلها مُورَداً على وجه من وجوه البلاغة أو الكلام الجامع أو مُخرَجاً مُخْرَج المَثل أو الحِكمةِ أو ما شاكل ذلك مما تُعَلّقُهُ الخواطر وتُقيدهُ الأذهان كقول المتنبي المتوفّى سنة ٣٥٤هـ:

[البسيط]

وما أُخَصُّكَ في بُرْءٍ[2] بتَهنِئَةٍ إذا سَلمتَ فكلُّ الناس قد سَلموا

وكقول الزَّمْخشَري المتوفّى سنة ٥٢٨هـ في ختام إحدى مقالاته: «إن الطّيشَ في الكلام يُتَرْجمُ عن خِفّةِ الأحلام[3] وما دَخلَ الرّفْقُ شيئاً إلّا زانَه وما زَانَ المتكلّم إلا الرّزانة».

وأما في غير ذلك فالأكثرُ فيه أن يُضَمَّن غرضاً آخر من الدّعاء أو عَرْض النّفس على خدمةِ المكتوبِ إليه أو توقُّع الجَوابِ منهُ أو غير ذلك مما تحتَمِلهُ مقاماتُ

(١) ينبو ويتباعد. (٢) شفاء. (٣) العقول.

الكلام وتَقتضيه دواعي الحال. وأكثر ما يَختمونها في النثر بعد الأغراض المذكورة بقولهم إن شاء الله، أو بمَنّ الله وفضله، وما أشبه ذلك. وكثيراً ما يختمُ النّاثرُ بقوله: «والسلام»، أو بـ«لا حوْلَ ولا قوّةَ إلا بالله»، أو بقوله: «والله المستعانُ»، أو بقوله: «والحمد لله أولاً وآخراً باطناً وظاهراً»، أو بقوله: «والله أعلم»، أو غير ذلك.

وربما خُتم بمثلِ كختام الخَوَارزْميّ المتوفّى سنة ٣٨٣هـ رسالتَه بقوله: ولقد سلك الأميرُ مِنَ الكَرَمِ طريقاً يَستوحشُ فيها لِقِلّة سَالكها، ويتيهُ في قفارها لدرُوسِ آثارِها وانهدامِ منازِلها. أعانه الله على صعُوبة الطريق وقلّةِ الرَّفيق، وألهَمَهُ صبراً يُهوّنُ عليه احتمالَ المغارِم ويُقرّب عليه مسافة المكارِم، فبالصّبر تنالُ العُلَا، وعند الصباح يحْمَدُ القومُ السُّرى. ومن أمثلَته في الشّعر قولُ ابن الوَرْدِي المتوفى سنة ٧٤٩هـ:

[الطويل]

سلامٌ عليكم ما أحبّ وصَالكُم وغايةُ مَجهودِ المُقلّ سلامُ

تقسيم الإنشاء إلى فنّي النّظم والنّثر

اعلم أنّ لسانَ العرب وكلامَهم يدُور على فنّينِ: فن الشعر المنظوم وهو الكلام المُقَفّى الموزونُ بأوزانٍ مخصُوصةٍ، وفنّ النثر وهو الكلام غير الموزُون؛ فأما الشعر فمنهُ المدحُ والهجاءُ والرّثاءُ. وأما النثر فمنهُ ما يُؤتى به قِطعاً ويُلتزم في كل كلمتين منهُ قافيةٌ واحدةٌ ويسمى سَجْعاً. وهو ثلاثةُ أقسام.

القسمُ الأولُ: أن يكونَ الفصلان مُتساويين، لا يزيد أحدُهما على الآخر كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾[1] وهو أشرف السجْعَ منزلةً للاعتدال الذي فيه.

القسم الثاني: أن يكون الفصلُ الثاني أطولَ من الأوّلَ لا طولاً يخْرجُ به عن الاعتدال خروجاً كثيراً فإنّه يَقْبُح عند ذلك ويُسْتكْرَه ويُعدُّ عيباً فمما جاء من ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ۝١١ إِذَا رَأَتْهُم مِّن

(١) الضحى: ٩ ـ ١٠.

مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا[1] ﴿١٣﴾﴾[2]. فالفصلُ الأوّلُ ثمان لَفظات والثاني والثالث تسعٌ تسع. ويُستثنى من هذا القسم ما كان من السجْع على ثلاث فِقَر فإنّ الفِقْرَتَينِ الأوليَيْنِ تُحسبان في عِدّةٍ واحدة، ثم تأتي الثالثةُ فينبغي أن تكون طويلةً طُولاً يزيد عليهما. وقد تكونُ الثلاثةُ مُتساوياتٍ كقوله تعالى: ﴿فِى سِدْرٍ[3] مَّخْضُودٍ[4] ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ[5] مَّنضُودٍ[6] ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾﴾[7].

القسمُ الثالثُ: أن يكونَ الفصلُ الآخرُ أقصرَ من الأوّلِ وهو عَيبٌ فاحشٌ[8].

وأما النّثر المرسلُ فهو ما يؤتى به قِطعاً من غير تقيُّد بقافية ولا غيرها وهو الذي يُطلَقُ فيه الكلام إطلاقاً ولا يُقَطّعُ أجزاءً بل يرسَل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها.

(من المثل السائر باختصار)

كيفية عمل الشعر

اعلم أنّ لِعمل الشعرِ وإحكامِ صناعتهِ شُروطاً:

أوَّلها: الحِفْظُ[9] من جنْسِهِ (أي من جنس الشعر العرب) حتى تنشأ في النفس مَلكَةٌ يُنْسَج على مِنوالها ويُتَخيَّرُ المحفوظُ من الحُرّ النّقيّ الكثيرِ الأساليبِ وهذا المحفوظُ المختار أقل ما يكفي فيه شعرُ شاعر من الفحولِ الإسلاميِّينَ مثل: عمر بن أبي رَبيعة، وكُثير، وذي الرمة، وجَرير، وأبي نُوَاس، وأبي تمَّام، والبُحتري، والشّريف الرَّضي، وأبي فِراس، وأكثره شعرُ «كتاب الأغاني» لأنهُ جمعَ شعرَ أهلِ الطبقة الإسلاميّة كلّه والمختار من شعر الجاهليّة.

---

(١) ثبوراً: ويلاً. (٢) الفرقان: ١١ ـ ١٣.
(٣) سدر: شجر معروف. (٤) مخضود: مقطوع شوكه. (٥) طلح: الموز.
(٦) منضود: متراكم بعضه فوق بعض. (٧) الواقعة: ٢٨ ـ ٣٠.
(٨) للسجع أربعة شروط: اختيار المفردات الفصيحة، واختيار التأليف الفصيح، وكون اللفظ تابعاً للمعنى لا عكسه، وكون كل واحدة من الفقرتين أو الفقر دالة على معنى لئلا يصبح الكلام تطويلاً معيباً.
(٩) ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر رديء ولا يعطيه الرونق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ فمن قل حفظه أو عدم لم يكن له شعر وإنما هو نظم ساقط. واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ. ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يقبل على النظم =

ثم لا بدّ لهُ من الخَلْوَة واستجادَة المكان المنظوم فيه باشتماله على مثل المياهِ والأزهار، كما يُـتحـن اسْتجادةُ المـموع لاستنارَة القريحة باستجماعِها وتنشيطها بملاذّ السرور. ثم معَ هذا كلّه فشرْطُه أن يكون على جَمام[١] ونشاط فذلك أجمعُ له وأنشطُ للقريحة أن تأتي بمثل ذلك المنوال الذي يساعد في حفظه. قالوا: وخيرُ الأوقات لذلك أوقاتُ البُكَرِ[٢] عند الهُبوب من النوْم، وفراغ المَعدَة ونشاطِ الفكر. وربما يكونُ من بَوَاعثه العشْقُ والانتِشاء.

قالوا: فإن استصعبَ عليه بعدَ هذا كلّه فليترُكْهُ إلى وقت آخرَ ولا يُكرِهْ نفسهُ عليه. وليكن بناءُ البيت على القافيةِ من أوّل صوغه ونسجهِ يضَعُها ويبني الكلامَ عليها إلى آخره؛ لأنّهُ إنْ غفلَ عن بناء البيتِ على القافية صَعُبَ عليه وضعُها في محلّها فربما تجيءُ نافرة قلقة. وإذا سَمَحَ الخاطرُ بالبيت ولم يناسب الذي عنده فليترُكْهُ إلى موضعه الأليق به فإن كلَّ بيتٍ مستقلٌّ بنفسه ولم تبقَ إلّا المُناسبةُ فليتخيّر فيها ما يشاءُ. وليُرَاجعْ شِعرهُ بعدَ الخَلَاص منهُ بالتّنقيح[٣] والنقدِ، ولا يَضِنَّ[٤] به على التّرْكِ إذا لم يبلغ الإجادة، فإنّ الإنسان مفتون بشعرهِ إذ هو بناتُ فكره واختراعُ قريحته ولا يَستعملُ فيه من الكلام إلّا الأفصحَ من التّراكيب والخالصَ من الضّرُورات اللّسانيّةِ، فليَهجُرْها فإنها تنزِلُ بالكلام عن طبقَةِ البلاغة. وقد حظَّرَ أئمةُ اللسان على المَولَّد[٥] ارتكابَ الضّرُورَة إذ هو في سَعةٍ منها بالعدُول عنها إلى الطريقة المُثلى من الملكة، ويجتنبُ أيضاً المُعقّد من التّرَاكيب جُهدَهُ بحيث تكونُ ألفاظهُ على طبق مَعانيه ومَعانيه تسابقُ ألْفاظَهُ إلى الفهمْ، ويجتنب أيضاً الحُوشيَّ من الألفاظ والمقَصّرَ وكذلك السّوقيَّ المبتذلَ فإنهُ ينزلُ بالكلام عن طبقة البلاغة أيضاً فيصيرُ مُبْتذَلاً ويقرُبُ من عدم الإفادة وفي هذا القدْرِ كفايةٌ لمتعاطي صناعة الإنشاء.

(عن ابن خلدون باختصار)

= وبالإكثار منه تستحكم الملكة وترسخ وربما يقال إن من شروطه نيسان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب فيها كأنه منوال يأخذ في النسج عليه بمثالها من كلمات أخرى ضرورة.

(١) جُمام: الراحة. (٢) بكر: جمع بكرة وهي الصباح. وزن غرفة وغرف.

(٣) بالتنقيح: بالتهذيب.

(٤) يضنّ: بفتح الضاد وكسرها لا يبخل.

(٥) المولّد: هو من وجد بعد اختلاط العجم بالعرب كالعباس بن الأحنف ومن بعده.